Malaysian Journal of Syariah and Law
مجلة الشريعة والقانون بماليزيا
USIM

Vol. 9, No.1, pp. 17 - 34 | JUNE 2021
ISSN: 1985-7454 | E-ISSN: 2590-4396
www.mjsl.usim.edu.my

Submission date: 20 October 2020 *Acceptance date: 29 May 2021* *Publication date: 09 June 2021*

مبدأ المساواة في الإسلام دراسة تحليلية في مفاهيم التَّميز والتَّمييز

THE PRINCIPLE OF EQUALITY IN ISLAM IS AN ANALYTICAL STUDY OF THE CONCEPTS OF DIFFERENTIATION AND RACISM

[*i]Baidar Mohammed Mohammed Hasan, [ii]Muneer Ali Abdul Rab

[i]Faculty of Syariah and Law, Universiti Sains Islam Malaysia, Nilai 71800, Negeri Sembilan

[*](Corresponding author) e-mail: baidar1984@usim.edu.my

DOI: https://doi.org/10.33102/mjsl.vol9no1.295

الملخص

هدفت الدراسة إلى بيان مبدأ المساواة في الإسلام من خلال عدة أطر مهمة، والتي تمثل المفاهيم المعرفية والعملية لمبدأ المساوة بين البشر، ومن خلال تلك المفاهيم، نستطيع أن نتوصل إلى حقائق مهمة تتبين أن المساواة الإنسانية ليست بالضرورة أن تعني أن يتساوى الناس في كل أمورهم الحياتية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية – وهو ما تعنيه الدراسة بإمكانية التمايز في هذه الجوانب– وإنما يقصد بمبدأ المساواة في الإسلام أن الناس سواسية في الحقوق والواجبات، وهو ما يمكن أن نسميه وجوب المساواة وامتناع التّمييز العنصري خاصة في هذا الجانب المحوري "الحقوق والواجبات". وهناك إشكالية في ازدواج المعايير المعاصرة لفهم حقيقة وفلسفة المساواة الإنسانية، ولذلك فإن مبدأ المساواة يطرح ضمن معايير بعضها غير قابل للتطبيق، وقد تُسبب تلك المعايير انفصامًا في المجتمعات، ومن ضمن تلك المعايير الغير واعية بمبدأ المساواة، المساواة بين البشر بشكل مطلق دون النظر إلى عوامل التمايز والتفاضل بينهم، وهناك من يخلط بين عامل التمايز والتفاضل وعامل التّمييز العنصري، وهذه إشكاليات استدعت دراسة هذا الموضوع بشكل يمكن من خلاله إظهار مبدأ المساواة في الشريعة الإسلامية ضمن معاييره المنضبطة. وسوف تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للتتبع النصوص التشريعية ذات العلاقة، وتحليلها بما يتلاءم مع موضوع الدراسة. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن المساواة لا تتعارض مع التميّز، وأن التميّز لا يعني التمييز، وأن الإسلام بمبادئه وقيمه الحضارية يؤسس للمساواة بين الناس على أساس الوحدة الإنسانية، وأن الوحدة القيمية والحضارية هي قيم للتمييز وليست للتمييز.

الكلمات المفتاحية: *مبدأ، المساواة، التمايز التمييز.*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ABSTRACT

The study aimed to clarify the principle of equality in Islam through several important frameworks, which represent the cognitive and practical concepts of the principle of equality between human beings, and through these concepts, we can reach important facts that show that human equality does not necessarily mean that people are equal in all their life matters. Social, political, economic, and the like -which is what the study means about the possibility of differentiation in these aspects- but by the principle of equality in Islam he means that people are equal in rights and duties, which we can call the obligation of equality and the abstention of racial discrimination, especially in this pivotal aspect, "rights and duties". This is the Islamic perspective on the principle of equality in this vital aspect. Likewise, Islam has allowed and encouraged competition and differentiation among people in various fields of scientific and practical life. Therefore, people are different at home according to the efforts they exert in developing themselves and providing benefits to their societies. This differentiation does not affect the element of equality in rights and duties in the Islamic perspective, and it does not lead to racism. It should be noted that there is a problem with double standards in the contemporary understanding of the truth and philosophy of equality among human beings. Therefore, the principle of equality is presented within the criteria, some of which are not applicable. These standards may cause division in societies, for example, there are those who call for equality between human beings Absolutely without looking at the differential factors between them. There are those who confuse differential with racism. The study will follow the descriptive and analytical method for reading the relevant legislative texts and analysing them in proportion to the subject of the study. The study found results which: that equality does not contradict with excellence, and that differentiation does not mean racism, and that Islam, with its principles and cultural values, establishes equality among people based on human unity, and that the value and cultural unity are values of differentiation and not racism.

Keywords: *Principle, equality, differentiation, racism.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين أما بعد، فإن الله تعالى خلق الله البشرية مختلفين في أنسابهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم، وهذا التمايز والاختلاف في هذه العناصر مدعاة للتمييز والعنصرية والعصبية الجاهلية؛ إذ إن كل جنس يميل إلى جنسه ولونه ولغته، ولتفادي هذه السلبيات التي قد تحدث في الحياة الإنسانية، جعل الله مبدأ المساواة والتعارف والتكامل، لتنتظم علاقات الناس في تعاملاتهم وحقوقهم ووجباتهم، وجعل ميدان التفاضل والتّميُّز في القلوب والعقول والأعمال، وألغى كل عناصر التّمييز الجنسي، أو العنصري الجاهلي المقيت، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" .(Muslim: n.d.)

إن المساواة من المبادئ الإنسانية التي يُستلهم منها النظم المهمة التي تتعلق بحياة البشرية الفطرية. فكما أن الحرية تعتبر الجناح الأيمن لحياة البشرية؛ فكذلك المساواة تعد الجناح الأيسر للحياة البشرية، ولا يمكن أن تنعم البشرية بحياة دافئة هنيئة إلا إذا تنعمت في ظلال هذين المبدئين العظيمين الحرية والمساواة؛ وإلا فإن الحياة تكون عديمة الجدوى دونهما. فإذا تحققت الحرية والمساواة كان من ثمارها العدل الذي يعد أساس الحكم وعموده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الطبيعة الفلسفية للمساواة في الإسلام لا يعني أن يتساوى الناس في كل أمورهم الحياتية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وإنما يقصد بها التساوي في نظر الدُّستور والقانون فيما يتعلق بالحقوق والواجبات. وكما حرصت الشريعة الإسلامية على أن يكون الناس سواء في نظر الدُّستور والقانون فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، كما أتاح أيضاً سباق المنافسة والتفاضل بين الناس في شتى المجالات، ولقد قررت الشرائع السماوية مبدأ المساواة على اختلاف مناهجها، وأقرت القوانين المدنية بدورها بهذه المبادئ الإنسانية الحضارية الحقوقية العظيمة، التي تعتبر أزلية ملازمة للإنسان منذ وجوده على أرض البسيطة.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

أولاً– مفهوم المساواة:

يدل مفهوم المساواة في اللغة على حقيقة ما تدل عليه في واقع التطبيق، فحينما يُقال ساوى بين الأمرين أو سوى بين الشخصين فإن ذلك يعني أنه جعلهما على حد واحد من التماثل والتعادل (Ibnu Manzoor: 1414H). وهذا هو أساس الإنصاف، كون المساواة في حقيقتها مبدأ ونظام وفلسفة تعني عدم تفضيل إنسان على آخر بناء على لونه أو عرقه أو لغته أو بلده، والمساواة دلالتها في اللغة هي دلالتها في التطبيق العملي، سواء كان ذلك التطبيق له علاقة بنظام الدولة الدستوري أو بنظامها القانوني أو بنظام المواطنة والحقوق المتساوية، وهذا التحليل التطبيقي لحقيقة مفهوم المساواة.

ثانياً– مفهوم التّميُّز:

التّميز في المنظور الإسلامي يمكن أن يكون له وجهين: أحدهما: تميز مادي حسّي، والثاني: تميز روحي معنوي، فالتّميز المادي هو كل ما يتعلق بالتّميز في التفكير والأعمال والمهن والكفاءات وما شابه ذلك، وأما التميّز المعنوي فهو التميز الذي يتعلق بروح الإنسان وقيمه وتعالميه هويته وبنائه الروحي الإنساني الحضاري، وسوف نتطرق إلى هذين القسمين بنوع من التوضيح والإيجاز.

القسم الأول– التّميُّز المعنوي:

لقد تطرقت نصوص الشريعة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة والنبوية إلى حقيقة التميّز المعنوي والروحي، والذي يتعلق ببناء شخصية الإنسان الإيمانية والعقدية والفكرية والأخلاقية، وقد قسم القرآن الكريم المسلمون في هذا التّميّز المعنوي إلى ثلاثة أقسام فمنهم السابقون ومنهم أصحاب اليمين ومنهم من اعتراهم الضعف والتقصير. قال الله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (Fatier: 32). وقد أسهب المفسرون بذكر الأقسام الثلاثة في الآية واختلفوا حول المقصود بالأصناف المتفاضلة الثلاثة، إلا أنهم اتفقوا حول حقيقة واحدة وهي أن البشر يتفاوتون في منازلهم بناء على القيم الأخلاقية المعنوية والروحية وُد أشار البغوي إلى شيء من هذا: " إن الأمة في العمل أقسام ثلاثة: مقصّر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العمل بالكتاب مسرف على نفسه. ومتردد بين العمل به ومخالفته. ومتقدم إلى ثواب الله بعمل الخيرات وصالح الأعمال بتيسير الله وتوفيقه". (Almraghi: 1946).

وقال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (Alwaqiah: 10-11).

وقال صلى الله عليه وسلم: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ (Muslim: 1334H).

والآيات والأحاديث كثيرة في هذا الباب، والغرض ليس هو سردها بقدر توضيح المفاهيم المتعلقة بعنصر التّميّز، وهذا التّميّز المعنوي بخصائصه وحقائقه الإيمانية والأخلاقية، لا شك أنه له انعكاسات إيجابية على حياة الفرد في تعاملاته مع الأخرين، وفي المجالات الحيوية للناس، سواء كانت مجالات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تشريعية، فالإنسان المفعم بالإيمان والخلق والقويم والذي يلتزم القيم الإسلامية بشكلها الصحيح، سوف يكون عنصراً فاعلاً و إيجابياً في الحياة ومجالاتها الحيوية المختلفة، وسوف يسهم بشكل فعّال في البناء والتنمية، وهكذا فقد أقرت الإسلام التّميز على مستوى أصولها النصية الثابتة وفروعها الاجتهادية المتغيرة، قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا (Alnkhari: 1422H). وفي حديث آخر في مسند أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ (Ahmad: 2001).

وهذه الأدلة مجتمعة وإن كانت تحث على المساواة في الحقوق والواجبات إلا أنها تكفل حق التَّميُّز لمن بذل جهدا للوصول إلى مرتبة المتميزين، وهذه سنة كونية الله، أن جعل الله الناس يتفاوتون في التكوين العقلي والروحي والجسمي والإمكانيات والقدرات المختلفة، وهو ما نطلق عليه في دراستنا هذه التّميّز وليس التّمييز.

من جهة أخرى، فإن التّميُّز في الجانب الروحي المعنوي، سوف ينعكس بشكل إيجابي على كفاءة الناس ومهاراتهم وأعمالهم، وهذا يتطلب فعلا أن يكون الشخص فعلا متميزاً في الجانب الروحي والمعنوي وليس مجرد مدعياً كما هو حاصل اليوم بين بعض ممن ينتسبون إلى الصلاح والتقوى ويلبسون لباسه وهم في حقيقة الأمر ليسوا إلا مجرد أدعياء، لأن التميز الروحي والمعنوي لم يظهر في سلوكياتهم وأعمالهم في المجالات الحيوية سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية أو المهنية. ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى شيء من هذا المعني في قوله: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ). (Abu Y'ala: 1988)، فإتقان العمل وجه من أوجه التميز الذي حث عليه الإسلام، وأمر به، وهذا يدلل على بشكل واضح على أن التمّيز الروحي المعنوي الحقيق، يؤثر بشكل إيجابي على الكفاءات في المجالات الإنسانية الحيوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الثاني– التّميُّز المادي الحسي

وهذا القسم من التّميز، له علاقة بالقسم الأول، وهو التميز الروحي المعنوي، كونه يصقل المواهب ويحسنها ويجعلها اكثر حرصاً وإخلاصاً واتقاناً، ولكن قد يتفرد هذا القسم دون القسم الأول، وليس بالضرورة أن التميز الروحي والمعنوي يكون سبباً مباشراً في التميز المادي الحسي، لأن التميز المادي الحسي يعتمد بشكل أكبر على القدرات العقلية والتفكير والابتكار والقدرات الأكاديمية والقيادية والمهارات الفنية المختلفة، ومن حاز على مثل هذا التّميز فإنه يستطيع أن يصل بأدائه إلى مستويات عالية في خدمة الإنسانية في مجالات الحياة المختلفة، والواقع خير دليل على ذلك، لإنه في عالمنا المعاصر وصل العالم الغربي إلى قدرات هائلة في عالم التقنية والتكنلوجيا والتشريعات القانونية والدستورية والتنظيمات السياسية المبتكرة، وهذا يدلل على أن الإنسان بإمكانه أن يكون عنصراً متميزاً في كفاءته وإمكاناته وأدائه الحسي المادي، حتى وإن كان لا يمتلك القيم الأخلاقية والروحية المرتبطة بالله سبحانه وتعالى، وهذا ليس بدعاً من القول بل هو الحقيقة التي لا يمكن إنكارها. وقد أشارت السنة النبوية إلى شيء من هذا الأمر، فقد كان عبد الله ابن أريقط ماهراً متميّزاً في الجغرافيا عالماً بالطرقات ومسالكها، وقد كان مشركا على دين قريش، ولم يكن مثله في المسلمين أحد، وقد استعان به واستأجره النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة. (Ghlaush: 2004).

الجدير ذكره في هذا الإطار أن الإنسان قد يتميز ف الجوانب المادية والحسية، وهذه حقيقة يقرها الإسلام، ويدعو الى الاستفادة منها بغض النظر عن دين وتوجه وعرقية الشخص، وهذا مقرر في مفهوم المواطنة والذي يشمل المسلمين وغيهم من أصحاب الديانات الأخرى، ولا يُميّز بينهم في الحقوق والواجبات بناء الدين أو العرق او اللغة أو اللون، وقد كفل للمسلمين وغير المسلمين ميدان التسابق والتميز في الجوانب المادية الحسية من أجل تقديم أفضل ما لديهم خدمةً للإنسانية وعمارة للكون، لتحقيق حضارة إنسانية راقية.

وقد اختلفت المذاهب الإسلامية الأربعة في حكم إسناد الأعمال إلى غير المسلمين بناء على المساواة بينهم ضمن اطار التَّميُّز في الجوانب المادية الحسية، فإن كان هناك من يرى المنع المطلق كبعض المالكية والحنابلة (Ibin the Awizaratin: 1419)، معتمدين على تميّيز المسلم عن غيره في الجوانب الروحية والإيمانية والعملية، وهو ما يجعله مقدما على غيره من الناس–وهذا مجال تميّز وليس تمييزا– فإن هناك من يرى الجواز المطلق كأبي حنيفة وبعض الشافعية، وهناك من يرى الجواز أحياناً والمنع أحياناً أخرى بناء على المصلحة المترتبة والمآلات، وهذا هو القول الراجح في هذه المسألة، كون الدولة تحتاج إلى الكفاءات والتميز في الجوانب المادية من اجل التنمية والبناء والتطوير وخاصة في الجوانب التكنلوجية والعلمية والتنموية التي تجلب الرفاة والاستقرار للناس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً– التّمييز العنصري (Racism)

1– مفهوم التمييز العنصري (Racism)

التمييز العنصري (Racism) يعتمد في مفهومة على العنصر، والذي هو الأصل والنسب والدين والطائفة واللون واللغة، والتمييز العنصري يعني تصنيف الناس وتمييزهم بناء على أساس عنصرهم العرقي أو العقدي أو الثقافي، وتكون نتيجة ذلك التصنيف هو التفضيل والتعصب لعنصر دون آخر، وأول من نادى بالتمييز العنصري والتعصب بناء على الجنس هو إبليس حيث قال الله تعالى: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (Ala'araf; 12)، فكان إبليس المطرود من رحمة الله، أول من نادى بالتّمييز العنصري بناء على الجنس العرقي، ولذلك فإن التمييز العنصري في المنظور الإسلامي يعتبر من الجاهلية وآثارها التي جاء الإسلام من أجل القضاء عليها، وإحلال علاقة التعارف والتنوع والتكامل بين البشر ومحاربة التّمييز العنصري بكل أشكاله وأنواعه. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (Alhujurat: 13).

وعن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: "يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالنّاس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب "، قال الله: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (Abdulagbbar: 2013).

2– أمثلة على التّمييز العنصري

هناك بعض المفاهيم المغلوطة حول الأجناس والأسر النبيلة والبشرة المتميزة تحولت إلى معتقدات، وترجمت إلى تصرفات وأعمال وقناعات ترفع من قيمة مجموعات معينة من الناس على حساب مجموعات أخرى، وتعدى ذلك إلى إعطاء الحق للفئة المفضلة بالتحكم بمصير الفئات الأخرى المضطهدة وازدرائهم والانتقاص من حقوقهم، دون سبب موضوعي وإنما لمجرد اختلافهم في الدين أو في اللغة أو في العرق أو اللون، وهذه العنصرية المتجذرة في معتقدات وثقافات وقناعات بعض البشر، كانت هي السبب المباشر في إذكاء نار الحروب والتفرقة والفتن والأمراض التي فتكت بالإنسانية وحضارتها، ومن الأمثلة على ذلك:

أ. تجارة الرقيق التي مارستها الدول الغربية والولايات المتحدة على الأفارقة ذوي البشرة السمراء، حيث أصبحوا عبيدا مضطهدين دون أي جرم أو سبب يذكر، غير كونهم مختلفين عنهم بسبب بشرتهم السمراء. (Alsharawi: 2001).

إضافة التعامل العنصري الذي يعانون منه إلى اليوم، مع وجود قوانين تجرم العنصرية في الدول الغربية وأمريكا على وجه الخصوص، ومع ذلك فأن الأشخاص ذوو البشرة السمراء لا يزالون يعانون في أمريكا وبعض الدول الأوربية من العنصرية، وحوادث القتل الذي تعرض له بعض أصحاب البشرة السمراء في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمريكا من قبل مؤسسة الشرطة بشكل متعسف ومخالف لقوانين التوقيف يدل على أن العنصرية لا زالت متمكنة في المجتمع الأمريكي والأوربي. (https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52945914).

ب. من جهة أخرى، فإن خير مثال يجسد العنصرية البغيضة (Racism) هي جماعة الحوثي الشيعية المرتبطة عقدياً وفكرياً واستراتيجياً بإيران، والتي يزعم قادتها أنهم من سلالة السادة النجباء، ولذلك فإنهم يجسدون العنصرية (Racism) بكل أشكالها المختلفة السياسية والاقتصادية والتشريعية والإنسانية والمدنية والعسكرية والتعلمية وغيرها من المجالات الحيوية المهمة في حياة الناس

ففي الجانب الدستوري ينظرون الى الحكم بإنه ملك لسلالتهم، من خلال عقيدتهم أن الحكم يجب أن يكون لهم وفي سلالتهم حتى يوم الدين، وأن من عارضهم فهو كافر يجب قتله وسلب ماله وانتهاك عرضه، وهم بذلك يتبنون أفكار وعقائد الجارودية والتي تعتبر فرقة من فرق الشيعة. (Zahir: 1995).

وفي الجانب الاقتصادي، فإنهم يجبرون الناس على دفع إتاوات لهم بحجة الخمس ويضمون إلى جانب ذلك الضرائب والجمارك والزكاة، ويستأثرون بتلك الأموال لأنفسهم، ويمنعون عن الناس رواتبهم ومستحقاتهم، لأنهم ينظرون الى بقية الناس بأنهم خدم وعبيد وأن حياة الناس إن لم تكن في خدمة السادة فليس لها قيمة تذكر، ولذلك فإن جرائمهم الإنسانية لا تعد ولا تحصى من قتل للرجال والشيوخ والأطفال (https://almawqeapost.net/news/51130) .

أما في الجانب الإنساني فإنهم يتعاملون مع الغير بتعالي ويقسمون المجتمع إلى سادة وعبيد، وقد عانت اليمن من الطبقية والعنصرية المقيتة طيلة حكم الأئمة الزيديون فقد قسموا المجتمع اليمني الى طبقات السادة والقبائل والأخدام والمزاينة –(الأخدام مصطلح يطلق على بعض المهمشين من ذوي البشرة السمراء، والمزاينة من المهمشين وغالبيتهم من ذوي البشرة البيضاء، والذين يعيشون في اليمن، ويعيشون حياة مأساوية بلا تعليم ولا صحة ولا عمل، وينظر اليهم المجتمع غالبا بازدراء، وهذا نتاج لثقافة العنصرية المجتمعية التي نشرها الأئمة الزيديون ومن بعدهم المليشيات الحوثي العنصرية)– وما شابه ذلك، ونشروا ثقافة الطبقية بشكل واسع في وسط المجتمع اليمني حتى اصبح امراً معتاداً ومتقبلاً حتى عند الطبقات التي اعتبرها الحوثيون ومن قبلهم الأئمة الزيديون أسفل طبقة في المجتمع، ولقوة الاستعباد والتخويف والقتل والجرائم التي مورست في حق المجتمع اليمني من قبل جماعة الحوثي ومن قبلهم الأئمة فإن تلك الطبقية أصبحت مقبولة بين الناس ومستساغة لعدة عوامل مهمة منها:

1- الجهل الذي تعمد الحوثي وميلشياته الإجرامية من فرض واقع تعليمي ضعيف ونشر الكتيبات والملازم التي كتبها بعض من ينتسبون الى جماعة الحوثي العنصرية، وليس فيها أي معلومات تذكر التلميع لسلالتهم العنصرية ونشطر الأفكار المضللة والكاذبة بين الأطفال والناشئة.

2- الترهب بالقتل والتعذيب والسجون والجرائم الحوثية لا تعد ولا تحص في هذا الجانب، فقد نسفت جماعة الحوثي مئات المدارس والمساجد والمراكز العلمية وأحرقت المكتبات وعبثت مع العلماء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأساتذة، ومنعت عنهم مستحقاتهم ورواتبهم، وهذا كله يصب في في صالح تجهيل وتركيع المجتمع لأن المجتمع إذا جهل ركع واستكان وضعف.

3- الخرافات التي تنشرها جماعة الحوثي والترويج للمخدرات ومحاولة نشرها بين الشباب من اجل القدرة على السيطرة عليهم

وهذه الأسباب وغيرها كانت معامل هدم في جدار المساواة الإنسانية التي جاء بها الإسلام، وأصبح التمييز العنصري هو السائد في اليمن في ظل تحكم جماعة الحوثي العنصرية بأكبر مخزون بشري في شمال اليمن. ومن قبلهم الأئمة الزيديون الذين حكموا اليمن بهذا التعسف العنصري البغيض.

وفي الجانب التعليمي، فإنهم ينظرون إلى التعليم بأنه الفرص التعليمية المهمة لا يستحقها سوى من هو من سلالتهم، وأن بقية الناس سوف يمثلون خطراً عليهم إذا ما تعملوا ورقت أفكارهم وعقولهم وازدانوا بالعلم النافع، ولذلك فإنهم يجبرون الناس على تعلم بعض الكتيبات التي كتبها بعض زعمائهم، وتلك الكتيبات لا تمت إلى المعلومة الصحيحة بصلة، بل هي مليئة بالضلال والتضليل والكذب والتزييف، وهذا بدوره يمكنهم من بناء مجتمعا خانعا خاضعا لهم حتى يسهل عليهم السيطرة على الناس بتبليد أفكارهم وتسطيح عقولهم، أما في الجانب العسكري فإنهم يرمون بأطفال وشباب أبناء القبائل الأخرى إلى معارك ومحارق، ويحفظون على أنفسهم وأبنائهم في مراكز القيادة والتمتع بخيرات البد التي سلبوها من الناس بغير حق، هذا نموذج بسيط جداً مما تمثله جماعة الحوثي العنصرية الشيعية في التمييز العنصري في الجمهورية اليمنية.

وفي جانب التشريع القانوني، فإنهم يفرضون تشريعات قانونية ومدنية كلها تصب في مصالحهم الشخصية المتعصبة، ويحاولون فرض تلك التشريعات بشكل متعسف وبعيد كل البعد عن ابسط معايير التشريع القانوني والإنساني.

وهنا رسم بياني توضيحي يبين أحد الجوانب الحقوقية التي تمس ببعض الأسس الحيوية في المجتمع اليمني، والتي هاجمتها مليشيات الحوثي بعنصرية وهمجية مفرطة خلال احتلالها لمدينة صنعاء العاصمة فقط خلال فترة بسيطة من عام 2014م، وذلك لكون هذه المؤسسات الحيوية تمثل الجانب الوسطي للإنسان اليمني، والذي يرفض العنصرية المقيتة بكل أشكلها وألوانها، فمثل مخط الحوثي لاستهداف المؤسسات الحيوية للشعب اليمني هدفا استراتيجيا لتكريس العنصرية السلالية والتمييز العنصري في فرص مؤسسات السلالية الطائفية العنصرية وتدمير المؤسسات الحيوية للشعب اليمني واستبدالها بمؤسسات عنصرية سلالية للحوثي وجماعته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

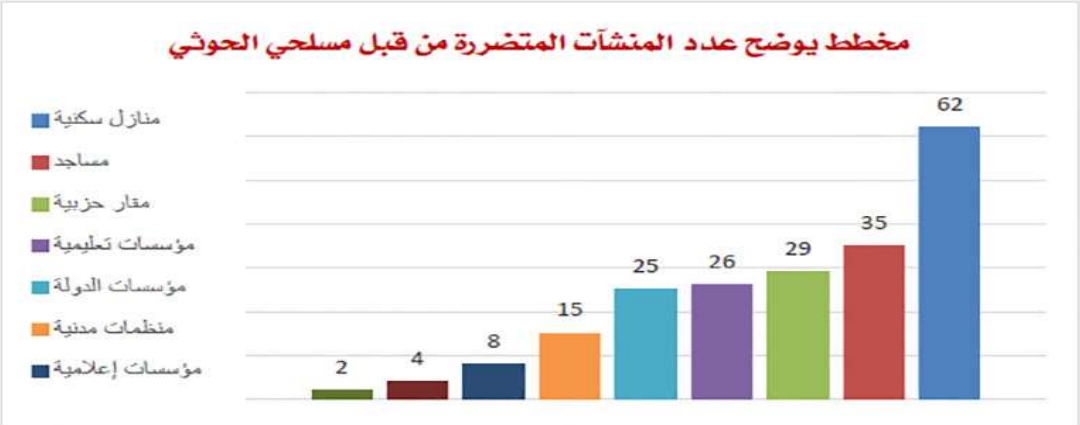

(http://sahafaa.net/show1631293.html)

أصالة المساواة في الإسلام

مبدأ المساواة في المنظور الإسلامية يعتبر من أعظم المبادئ الإسلامية الرفيعة التي بعث من أجلها الأنبياء والرسل إلى البشرية لتحقيقها، ولذلك فإن من أعظم المهام التي واجهت النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للناس قضية المساواة؛ فلقد ألغى الإسلام كل الفوارق الطبقية والقبلية، وجرد الإنسان من كل العصبيات التي جعلت بعضهم يستضعف بعض بناءً على لونه، أو جنسه، أو لغته، أو دينه، أو طائفته.

ولقد أثَّرت المصدرية الإسلامية للتشريع هذه النظم بنصوصها الدالة بمنطوقها ومفهومها صراحة على أهمية هذه النظم الأساسية التي تعد أساس الحياة الإنسانية. والقرآن والسنة كلاهما مليئان بالنصوص الصريحة التي لا تقبل التأويل ولا التحوير في التدليل على المساواة وغيرها من النُّظُم الدُّستورية الإسلامية التي تعد أساساً لبناء أي مجتمع إنساني راقي (Fuad: 2002).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً–مصدرية القرآن الكريم للمساواة

جعل الإسلام المساواة من المبادئ الأساسية التي يتعلق بها نظام الحياة، سواء ذلك فيما يتعلق بالجانب السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي، من خلال قضائه على كل الفوارق الطبقية التي كان يتفاخر بها العرب، فلم يجعل لعربي فضل على عجمي ولا لأبيض فضل على أسود إلا بالتقوى، ولقد أثْرت المصدرية الدُّستورية في القرآن الكريم قضية المساواة بنصوص قرآنية كثيرة واضحة في دلالتها ونصيتها، بيد أن الاقتصار على بعض من هذه النصوص يعد كافياً لأثبات أهمية هذا الجانب المشرق من سمو الشريعة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية الراقية.

قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (Alhgura:13).

إن هذا الخطاب القرآني يمثل أساساً تشريعيا راقياً في التعامل بين الناس؛ حيث إن الخطاب جاء للبشرية كافة بأن ميدان التفاضل هو السمو بالروح والأخلاق والإيمان والعمل والكفاءات والمنافسة في تقديم أفضل ما يمكن أن يتميز به العقل البشري في مجال الخدمات الاجتماعية والإنسانية؛ أما في ميدان الجنس البشري البحت وما يتعلق به من حقوق ومسؤوليات وواجبات، فإن الناس فيه متساوون غير متفاضلون (Qutub: 1974).

ثانياً– مصدرية السنة النبوية للمساواة

لقد أسهمت السنة النبوية بكثير من نصوصها بشكل فعال في إرساء القواعد الإنسانية النبيلة المتعلقة بالمساواة، ولقد كان ذلك واضحاً وجلياً من خلال استقراء السنة النبوية الشريفة التي دلت بمقولها وتقريرها وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم على أن المساواة من تعد من أهم المبادئ الإنسانية التي جاء الإسلام من أجلها، كونها مقصداً عظيماً من مقاصده، ونظاماً إنسانياً حضاريا خالداً، وأن أي مجتمع يفتقر إلى مثل هذه المبادئ يعتد مجتمعاً مفتقراً إلى قدر عظيم من الإنسانية. ولذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على هذا المبدأ الإنساني والذي يعد من أساسيات البناء لأي مجتمع إنساني حضاري، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حينما شفع عنده في حد من الحدود، كون المشفوع له شريفاً في نظر الشافع؛ فكان رد النبي صلى الله عليه وسلم واضحاً، في أن المساواة أساس لا يمكن لشافع مهما بلغ قدره وقربه أن ينتقص من هذا المبدأ الإنساني الحضاري. قال صلى الله عليه وسلم: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (Albkhari: d.t).

ولقد كان ميثاق المدينة المعروف بتنظيم العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض وغيرهم من ساكني المدينة، أساس في بناء العلاقة بين الناس على أساس المساواة فيما يتعلق بالحقوق والواجبات المدنية للناس تجاه بعضهم البعض، ولقد كانت المدينة خليطاً من المهاجرين والأنصار واليهود والمنافقين، وكانت صحيفة المدينة بمثابة إعلان دستوري رائع قامت على أساس المساواة بين أفراد المجتمع فيما لهم حقوق وعليهم من واجبات (Albayhaqi: 1994).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ما فتئ أن أعلن نظام المساواة في الحياة الإنسانية في خطبه وتعاليمه وإرشاداته لأهميتها في الحياة الإنسانية التي تعي معنى الحياة الحقة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت "، قالوا: بلغ رسول الله" (Ahmad: n.t).

ولا يمكن استقصاء كل ما ورد في هذا الشأن من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لكثرتها؛ ولكن الإشارة في ذلك تفي بالغرض المراد توضيحه.

مبدأ المساواة في الإسلام بين التّميُّز والتّمييز

مبدأ المساواة في الإسلام يقع ضمن منظوره الخاص ومفهومه الإنساني الذي يتسم بالواقعية الحضارية والعدالة الإنسانية. فالمساواة ليست مجرد كلمة مطلقة، بمعنى أنه يجب أن يتساوى الناس في جميع شئونهم العلمية والاقتصادية والسياسية وغيرها من المجالات، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الحياة ميداناً للتنافس الشريف، ليبلي كل إنسان على قدر عمله وجهده، ولكون التّميز يعتبر من الأشياء الثانوية في الحياة البشرية بناءً على ما يبذله الشخص من مجهود بدني، أو ذهني فكري، أو قلبي روحي، فإن ذلك لا يعني التّمييز، وإنما يعني التَّميُّز. أما القيم الأساسية التي فطر الناس عليها، فإنها أصل في خلقة الإنسان ومصاحبة له مذ ولادته وحتى وفاته، ولا يمكن انتزاعها منه بأي حال من الأحوال، ومن ذلك ما يأتي:

أولاً– المساواة في القيمة الإنسانية دون تميُّز أو تمييز

إن للإنسانية قيمة واحدة متحدة في الجنس الإنساني، بغض النظر عن اختلاف الأعراق والألوان واللغات وظروف الحياة المختلفة من بلد إلى آخر، ومن شخص إلى أخر؛ فأصل الإنسانية هو آدم عليه السلام، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن" (Ahmad: n.t).

وهذا يعني أن القيمة الإنسانية هي قيمة واحدة لا مجال فيها للتميز ولا للتمييز، لأنها من الثوابت التي لا تغيرها الكفاءات ولا المكانة الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية. هي حقيقة واحدة لا تزيد قيمتها بمكانة الشخص مهما بلغ من المكانة، ولا ينتقصها وضاعة الشخص في مكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهي قيمة واحدة ميزانها واحد وحدها واحد لا تزيد ولا تنقص بين جميع البشر على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وأعراقهم وألوانهم ولغاتهم وثقافاتهم.

لقد حرر الإسلام البشرية من ضيم التَّمييز العنصري الآثم الذي عاشته البشرية قروناً عتيقة، عانت منها الكرامة الإنسانية ضيم التَّمييز والتفريق والاستعباد؛ فكان يعيش البعض سادة يأمرون ويحكمون، ويعيش البعض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآخر عبيداً يسمعون ويطيعون ويخضعون، وبذلك تكون قد فقدت القيمة الحقيقية للبشرية بذريعة علو بعض الأعراق على بعض، وتميز بعض الألوان دون الأخرى، فتمثَّلت الشريعة الإسلامية منهج خلاص للبشرية، فلا فضل لأحد على الآخر، والكل متساوون في القيمة الإنسانية في الدُّستور والقانون (Kahlil: d.t)

ثانياً– المساواة في الحقوق والواجبات العامة بين التّميُّز والتّمييز

حرصت الإسلام على التأكيد على أن الناس سواسية في الحقوق والواجبات التي اقتضاها التكوين الفطري للإنسان، واستلزمتها الحياة الإنسانية؛ ولذلك فإن الإسلام فيما يتعلق بالمساواة يقرر بمنظوره التشريعي الحقوقي أن يتساوى الناس دون تميّز فيما يتعلق بالحقوق والواجبات التي تُعدُّ أمراً فطرياً خالصاً لا يتعلق به التَّميُّز بالقدرات والمواهب والأخلاقيات المتفاضلة بين البشر، ومن ذلك حق الحرية والتملك والتعليم والأمن والحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من الحقوق والواجبات التي تستلزم المساواة بين الناس كونهم يشتركون في حقيقة واحدة هي الوحدة الإنسانية البشرية والتي أصلها آدم عليها السلام، وهذا لا يؤثر فيه الكفاءات والمكانات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية زيادة او نقصا، وإنما هي مكانة واحدة لا تزيد ولا تنقص، ويترتب على هذه المكانة المساواة في الحقوق والواجبات بيت جميع البشر، وهذ ما أكد عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن" (Ahmad: 2001).

ثالثاً– المساواة في الحقوق المدنية بين التّميُّز والتّمييز:

لم يكن هناك تميُّز أز تمييز بين الناس وفقا لفلسفة المساواة في المنظور الإسلامي في الحقوق المدنية المتعلقة بالحقوق والمسئوليات بين الناس، وإنما تعامل معهم على قدم المساواة، فلم يفرق بين ذكر، أو أنثى، أو مسلم، أو كافر فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، كون الإسلام يتعامل بمنظوره التشريعي والقانوني على بعد واحد مع الناس فيما يتعلق بالحوق والمسؤوليات المدنية كوحدة إنسانية متكافئة (Alnbhan: d.t).

ومن أهم الحقوق المدنية التي يتساوى فيها الناس حق التعاقد في شئون المعاملات، سواء كانت اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، ولكون العلاقة التي تنظم شئون الناس والتعاملات فيما بينهم تحتاج غالباً إلى تنظيم قانوني مدني من خلا إقامة التعاقد والتحاكم والصلح والقضاء وما شابه ذلك من المفردات المدنية القانونية التي هي ضرورية لاستقامة حياة الناس ونظامهم الإنساني الحضاري، فإن الناس متساوون في هذه الحقوق أمام الشريعة والقانون الإسلامي دونما تميز أو تمييز، لأن هذه الحقوق المدنية ترتبط ارتباطا وثيقا بالوحدة الإنسانية البشرية الحضارية، وليس لها علاقة بالتفاضل والتنافس في ميادين العمل والإنجاز والكفاءة، وإنما تخضع لمتطلبات أخرى من إقامة الحقوق وإعطاء الواجبات وهذا لا يفرق فيه بين الناس على أساس ديني او طائفي او عرقي أو ثقافي (Alnbhan: d.t).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً–المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية في الإسلام بين التّميُّز والتّمييز:

سوف تستعرض الدراسة هذه القضية بشكل مقتضب كون الغرض هو توضيح المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم في الحقوق المدنية بغض النظر عن التفاضل بينهم بناء كلى كفاءتهم الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، كون هذه المساواة لها ارتباط وثيق بالحقوق الإنسانية المجردة من عوام التفاضل والتّمايز، وبناء على ذلك فإن الإسلام بمنظوره التشريعي والقانوني ومن خلال النصوص الشرعية المتعلقة بالتكاليف والحقوق والواجبات بشكل عام يعتمد على عدم التفريق بين الجنسين الرجال والنساء، وإنما الأصل في ذلك التساوي، كون كلا الجنسين يتمتعون بحقيقة إنسانية واحدة، وقدرات عقلية وشعورية وجسمانية تؤهلهم للقيام بما يتوجب عليهم من مسؤوليات دينية واجتماعية وسياسة واقتصادية، وغيرها من المسؤوليات والواجبات التي لا تفاضل بالاضطلاع في أدائها، إلا في حدود ضيقة جداً استلزمت تفريقاً معيناً في بعض الأمور البسيطة –ليس هذا هو مجال حصرها وسردها–، والتي لا تعد مقياساً للتفريق بين الجنسين على نطاق واسع، كون الإسلام بمنظوره التشريعي والقانوني أعطى المرأة حقها الكامل في ممارسة حياتها المدنية والحقوقية كما للرجل تماماً (Alrifaie: 2007).

الجدير ذكره في هذا الصدد، أن بعض الفقهاء والمفكرين ينظرون إلى التفريق في بعض القضايا المدنية بين النساء والرجال، وخاصة في بعض الحقوق السياسية التي تتعلق في حق الاختيار والترشيح في العملية السياسية، بناءً على قياس هذه القضية بقضية الشهادة، وأن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل. ولعل من المناسب جداً أن يقال هذا قياس مع الفارق كون الحق المدني للمرأة في المشاركة في الحياة السياسية من خلال حق اختيار المرشح في العملية السياسية لا يعتبر شهادة، بقدر ما يعتبر عقد دستوري بين الحاكم والمحكوم، والذي يدخل ضمن العقود والتي لا يشترط فيها أن تكون المرأة في ذلك على النصف من الرجل لإضافة إلى كون هذه الحقوق تدخل ضمن الحقوق الدستورية التي يتم من خلالها يتم التعاقد على إعطاء حق التصويت مقابل إقامة النظام والمسؤولية والنظام الاجتماعية الإنساني للرعية، وهذا التعاقد الدستوري يتطلب أن يكون المتعاقد لديه كامل الحق في تمثيل نفسه كإنسان لا يتجزأ عن ذاته وحقيقته كإنسان كامل مكلف يمتلك الأهلية الكاملة ويتحمل المسؤولية الكاملة أمام حقوقه وواجباته المدينة (Alssbaie: d.t).

خامساً–المساواة المدنية بين المسلمين وغيرهم بين التّميُّز والتّمييز

غير المسلمين الذين يسكنون بين ظهراني المسلمين، ويعتبرون مواطنين يحملون جنسية البلد، فإنهم يعتبرون متساوون في الحقوق المدنية مع المسلمين، كون ذلك إنما يتعلق بنوع من المعاملات، فلهم الحق وتقع عليهم أيضا المسؤولية ولم تفرق الشريعة الإسلامية في ذلك بين المسلم والكافر، إلا في قضايا محدودة لها علاقة بالتّميُّز وليس التّمييز، ومن ذلك أنه لا يحق لغير المسلم أن يقدم نفسه كمرشح لرئاسة دولة مسلمة، كون الرئاسة لها بعدين ديني ودنيوي، وغير المسلمين لا يؤمنون بمبادئ الدين الإسلامي وشريعته الدستورية ولقانونية، وعليه فإن غير المسلم افتقر إلى عامل مهم جداً في ميدان المساوة في هذه القضية، كونها من القضايا الذي تُعتبر فيها الكفاءات الدينية والدنيوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليست من القضايا التي تعتمد أساساً على مجرد الوحدة الإنسانية، لأن الولايات العظمى للمسلمين لها بعد ديني وتشريعي قانوني ودستوري يعتمد على النصوص التشريعية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا ما يفتقر إليه غير المسلمين، ولذلك فإن قضية المناصب والولايات العظمي هي خاصة بالمسلمين دون غيرهم.

ولو اعتبرنا مساواة المسلمين بغيرهم في هذه القضية بحجة الإنسانية، فإن ذلك سيدخل في مجال الظلم ولتعسف والتعدي على الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للسواد الأعظم من المسلمين، والتي تعتمد في أسسهم وقيميهم وهويتهم الحياتية المختلفة على القيم والتعاليم الإسلامية، والتي لا يؤمن بها عير المسلمين. ولذلك فإن حق الكفار في العملية السياسية يقتصر فقط على مجرد المشاركة السياسية في اختيار الحكم، ولا يتعدى إلى غير ذلك (Abdulwahied: d.t)، لأن هذه القضية يعتمد فيها التّميُّيز والتفاضل في الدين والقيم والهوية والإيمان والعقيدة والتشريع الإسلامي، كون الولايات العظمي للمسلمين هي وضيفة لها متطلبات وشروط تخضع في معظمها إلى اعتبار المميزات الدينية والقيم الأخلاقية والتشريعية والتي مصدرها الإسلام عقيدة وشريعة. وهذه المتطلبات يفتقر إليها غير المسلمين، ولذلك فلا يعتبرون مؤهلون للمهام والولايات العظمى في دول المسلمين.

قد يحتج البعض بأن الناس متساوون في المواطنة، وأنه لا فرق بين الناس مسلمهم وكافرهم في الحقوق السياسية التي ربما يصل من خلالها غير المسلمين إلى رئاسة الدولة، وهؤلاء تغيب عنهم حقيقة مهمة، وهو أن تمكين غير المسلمين من الولايات العامة والولايات الحساسة يؤثر سلباً على المسلمين في دينهم ودنياهم وهذا من التعسف في استخدام مبدأ المساوة ويؤدي إلى الظلم والتعدي على الحقوق العامة والخاصة للمسلمين، كون الولايات العامة للمسلمين ليست مجرد وظيفة تنفيذية عادية، بل إن المسلمين يعتمدون عليها كحق خاص من حقوقهم الدينية والدنيوية لأنه يرتبط بذلك حقوق المسلمين على حاكمهم في القيام بالحفاظ على الدين والشرعة والدفاع عنهما حين يحتاج الأمر إلى ذلك، وهذا ما لا يمكن أن يفعله غير المسلمين إذا ما تمكنوا من الولايات العامة للمسلمين ومن مواطن القرار.

من جهة أخرى فإن الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأ احترام حقوق المجتمعات الدينية والفكرية والثقافية؛ ولذلك فإن الإسلام كان حريصاً على الخصوصيات الدينية والفكرية والثقافية التي تتعلق بالمجتمعات، فلم يجبر اليهود في المدينة النبوية على التحاكم إلى القانون الإسلامي، وإنما ترك لهم حرية الاختيار في التحاكم إلى شريعتهم، أو شريعة المسلمين. وفي نفسه المبدأ الذي تنطلق منه الشريعة الإسلامية في احترام الشرائع الأخرى؛ فإنه يجب احترام الشريعة الإسلامية في قضية تولي المناصب الحساسة في الدول الإسلامية، كرئاسة الوزراء ورئاسة الدولة وما شابه ذلك من المناصب التي تستلزم خصوصية معينة، تمنع من تساوي الكافر بالمسلم في أحقية الترشح للمناصب العامة المهمة، أو أي منصب سيادي حساس بحجة المساواة، كون ذلك ينتقص من حقوق المسلمين السياسية والتشريعية، ويعتبر تعدياً على خصوصية المسلمين ومصالحهم وشئونهم الدينية والثقافية والاجتماعية وغير ذلك من المجالات الحيوية التي ترتبط بالدين الإسلامي الحنيف (Alfaroqi:1981).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المساواة والتّميُّز في الإسلام

مبدأ لمساواة في الإسلام لا تتعارض بحال مع التّميُّز والتفاضل في المهارات والكفاءات، ذلك أن ميدان التنافس متاح بين الناس ولا يتعارض مع أصل المساواة. والمساواة بحد ذاتها لا تعني أن يتساوى الناس ففي إمكانياتهم وكفاءاتهم، فالناس مختلفون في صلاحهم وفسادهم، وجهلهم وعلمهم، وإيمانهم وكفرهم، كما أنهم مختلفون في قدراتهم العقلية والذهنية، إضافةً إلى اختلافهم في هممهم وعزائمهم؛ ولذلك جعلت الشريعة الإسلامية هذه الأمور ميداناً للتميُّز والتنافس، ليتسابق الناس في هذا المضمار، فمن علت رتبته في دينه، أو علمه، أو فكره، فهو متميّز بما اكتسبه من كفاءة ومهارات وعلوم؛ لكن يبقى أنه بشر كغيره من الناس يتساوى معهم في الأصل والجنس والطبيعة البشرية التي تُحتِّم المساواة في الحقوق والواجبات، إذاً فميدان التفاضل يدل على التَّميُّز لا التَّمييز (Kamil: 1970).

أولا–المساواة وتميُّز الكفاءات في الشريعة الإسلامية:

الكفاءة العلمية تعتبر من ضمن القضايا التي اعتبرت الشريعة الإسلامية التّميُّز فيها، قال الله سبحانه وتعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (Alzumar: 9).

إن العلم يعتبر من الأساسيات المهمة في التّميُّز وليس التّمييز بين الناس. فالعالم ليس كالجاهل في نظر التشريع الإسلامي، وهذا هو محض العدل في أن يتمّيز العالم عن غيره من الناس، ليس في أصل جنسه وخلقته، وإنما يتميّز برأيه وفكره وقوته في التفريق بين الحق والباطل والخير والشر، وإدراك المصالح والمفاسد وما يترتب على ذلك من أبعاد. ولقد جعل ابن عاشور العلم من الفضائل التي تحتم تميُّز الفاضل عن المفضول، كون العالم يمتلك كفاءة تؤهله للقيام على مصالح الناس، ولو تقدم الجاهل على العالم في ذلك لكان فساده أكثر من صلاحه، ولفسدت أحوال الناس (Ibnu Ashur: d.t)، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم لتأكيد هذه الحقيقة: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (Albkhari: 1419).

وهذا يدخل في جميع التخصصات العلمية الدينية منها والإنسانية والتطبيقية، فتقديم الكفاءات هو الأصل في عمارة الأرض وبنائها الإنساني الحضاري، ولا يعد ذلك تمييزا عنصريا، بل تقديرا للكفاءات المؤهلة من أجل ضمان استمرار عمارة الأرض بالشكل المطلوب من الإنسان.

من خلال ما تقدم؛ فإنه ينبغي الاعتناء بالعلم وأهله، خاصة فيما يتعلق بالأمور التي تتعلق بالمصالح العامة للدولة، فإنه لا ينفع بحال أن يتقدم لها من يجهل أمور الناس ومصالحهم. ولذلك فإنه يعتبر التّميُّز في ذلك، ويقدم لأمور الناس من هو جدير به خاصة فيما يتعلق بتولي شئون الناس المهمة والحيوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً–المساواة والتّميُّز القيمي في الإسلام:

تميُّز الناس في قيمهم السلوكية والأخلاقية من الأمور المعتبرة في التشريع الإسلامي، وتعتبر القيم الأخلاقية والسلوكية من القضايا المعتبرة في التفاضل بين الناس، فالمصلح ليس كالمفسد، والصادق لا يمكن أن يكون كالكاذب، والأمين لا يساوى بالخائن، ولذلك فإن التّميُّز القيمي والأخلاقي من المفردات المهمة التي تعيرها الشريعة الإسلامية اعتبارا كبيرا في التفاضل بين الخلق قال الله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (Sad: 28). ولهذا فإن تميُّز الفاضل الصالح المصلح صاحب القيم الأخلاقية العالية، وتقديمه على غيره من الناس ممن ثبت إجرامهم وفسادهم في حق الناس يعتبر من الأوليات المهمة والضرورية لصالح حال الناس؛ لأن المفسد إذا تولى المناصب وإدارة أعما الناس، فإن ذلك سيعطيه مزيداً من القوة لممارسة فساده وبطشه بالناس. ولذلك فإنه لا مجال في هذه القضية إلى المساواة بين المفسد والمصلح، كالمساواة بين الصلاح والفساد والحق والباطل، ولهذا يجب منع المفسدين من الوصول إلى المراكز المهمة في الوظائف العامة والخاصة، لان ذلك يؤدي إلى مفاسد عظيمة تؤثر على استقرار المجتمعات والدول وتؤدي إلى فساد الأحوال والبلدان.

وليس للمساواة في هذه القضية مجال يذكر، لأن التسوية بين المصلحين والمفسدين والمتقين والفجار يعد ظلماً لا تقبله العقول السليمة الواعية، كما لا تقبله الشريعة الإسلامية الغراء، لأن ذلك يُكرِّس الفساد والظلم والجور، فلا يُمكَّن من الوصول إلى المراكز الهامة والوظائف الحيوية إلا من ثبت في حقه النزاهة والصلاح، وثبت في حقه أيضاً عدم تلبسه بأي من جرائم الظلم والفساد والإجرام في حق الناس (Ibnu Ashur: 2000).

والفساد بشتى أنواعه مانعاً من موانع المساواة؛ إذ إن ذلك يقتضي انتشار الفساد السياسي والمالي والاجتماعي الذي قد يحدث جراء تحكم الفاسدين بمقدرات الأمة، وتحويلها إلى وكر فساد عظيم، كما هو الحال في بعض الدول التي تعاني من الفساد المالي والإداري وذلك بسبب عدم تقديم من تميز بقيمة الأخلاقية الإنسانية الحضارية العالية.

الخاتمة والنتائج:

مبدأ المساواة بين البشر من المبادئ والقيم المهمة التي راعتها الشريعة الإسلامية، ولكن هذه المساواة في حقيقتها تعتبر مساواة في الجنس البشري كجنس أصله واحد، وقد راعت الشريعة الإسلامية مع ذلك التفاضل والتمايز بين الناس، سواء كان ذلك التفاضل في الجهد البشري الحسي، أو في العلو الروحي الخلقي القيمي.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن المساواة تعتبر قيمة إنسانية حضارية تعتمد على حقيقة الوحدة الإنسانية كجنس بشري، وهذه القيمة البشرية لا تتأثر سلباً ولا إيجاباً بالتنوع البشري المتمثل باختلاف اللغات والثقافات والعرقيات والألوان، وإنما يمثل ذلك التنوع ثراء بشري لمد جسور التعارف بين الناس كشعوب وقبائل متنوعة في ثقافاتها ولغاتها وعرقياتها. وأن التميز العنصري الذي عانت منه البشرية لعقود طويلة، لا يزال ماثلا في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عصرنا الحاضر، وسبب ذلك اعتقاد البعض بعلوا بعض الأعراق والشعوب على البعض الآخر، وهذا مناقض لمبدأ المساواة التي تعتمد الإنسانية كوحدة بشرية واحدة دون فوارق سلالية أو طبقية أو شعبوية. من جهة أخر، فأن الدراسة توصلت إلى أن التفاضل والتميّز بين الناس حقيقة قائمة على التنافس بين الناس في تطوير ذواتهم في المجالات العملية والمعنوية، وأن التفاضل والتميّز لا يناقض مبدأ المساواة.

REFERENCES

Abdul Aljabbar, Suhyib. (2013). Almusanad Almawdueiu Aljamie Lilkutub Aleashara.

Abu y'alaa ،'Ahmad Bin Ali. (1988). Musnad 'Abi Y'alaa. Jidah: Dar Alqiblah.

Ahmid, Fuad Abdul Almuneum. (2002). Mabda Almusawat fi Al'iislam. Al'iiskandariah: Almaktab Alearabi Alhadith.

Albihqi (n. d.). 'Ahmad Bin Ahusayn Bin Euli. N.t Sunan Albyhqy Alkubraa Makat Almukramati: Maktabat Dar Albaz.

Albukhari, Muhamad Bin 'Ismaeil. 1422ha. Sahih Albukhari. Biurut: Dar Tuq Alnajat.

Alfaruqi, 'Ismaeil. (1981). Huquq Ghyr Almuslimin fi Aldawlat Al'iislamiati. Majalat Almuslim Almaeasir. Al'adad 26.

Al'iislami. Abdul aljabbar Abdul Alfatah, 'Ismaeil. (2001). Alqiam Alsiyasiat fi Al'iislam. Alqahrt: Aldaar Althaqafiat.

Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa. (1946). Tafsir Almaraghi. Alqahroh: Mustafa Al-Babi Al-Halabi.

Almauqeapost. News. Al-Hukumah: Qanun al-Khumus al sadir an al hawsiyyin intihak lil qanun wa sabiqah khatirah fi tarikh al Yaman. https://almawqeapost.net/news/51130. (Accessed on: 29 March 2021)

Almawrdi, Ali Bin Muhamad Bin Muhamad Bin Habib. (d.t.). Al'ahkam Asultaniatu. Alqahirata: Dar Alhadith.

Almududi, 'Abu Al'aelaa. (d.t). Huquq 'Ahl Althhimah fi Aldawlah Al'islamiah. biurut: Dar Alfikr.

Alnabhan. d.t Nizam Alhukm fi Al-Islam.

Alqashiri, Muslim Bin Alhujaj. (1334H). Sahih Muslim. Biurut: Dar Aljayl.

Alqasimi, Zafir. (1990). Mizam Alhukm fi Aalshryet Waltaarikhu. Biurut: Dar Alnafayis.

Alrifaeiu, Mansur muhamad Eubayd. (2007). Huquq Al'iinsan Alealamiat fi Al'iislami. Al'iiskandariati: Markaz Al'iiskandariat lilkitab.

Alsabaei, Mastafaa. (d.t) Almar'at Bayn Alfaqih Walqanuna. Alriyasat Aleamat Li'iidarat Albihwith Aleilmiat Wal'iifta' Waldaewat Wal'iirshadi, Majalat Albihwth Al'iislamia Mjalat Dawriat Tasdur Aan Alriyasat Aleamat Li'iidarat Albihwith Aleilmiat Wal'iifta' Waldaewat Wal'iirshad. altabariu, muhamad bin jarir bin yazid. 1387h. tarikh altabri. biruta: dar altarath.

Alshiearway, Hilmi. (2001). Riah Aleunsuriat Taesif Bibuldan Aljanuba. Alqahira: Markaz Albihwth Alearabiah.

Alshiybani, 'Ahmad bin Muhamad Bin Hnbal. 1421H-2001. Musanad Al'imam 'Ahmad. Birut: Mawsasat Alrasalat.

BBC News. Arabic. Maqtal Jourge Fluid: al-Unsuriah La Tabda' Wala Tantahi Bi Dar Bi Al-Sud. https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52945914. Accessed on: 20 April 2021.

Ibn Ashur, Muhamad Altahr. (2001). 'Usul Alnizam Alaijtimaei fi Al'islam. Aman: Dar Alnufayis Lilnashr Waltawzie.

Ibn Qiam Aljuziati, Mmuhamad Bin 'Abi Bakr Bin 'Ayub. (1408h/1988).Aijtimae Aljuyush Al'iislamiat Alriyad: Mutabie Alfirzdq.

Ibnu Ashur, Muhamad Altaahir. (2000). Altahrir Waltanwir. Birut: Muasasat Alttarikh Alearabi.

Ibnu Munzur, Muhamad Bin Mukrim. (1414H). Lisanu Alearab. Biurut: Dar Sadir.

Ibnu The Alwizaratayin, Ali Bin Muhamad Bin 'Ahmad. (1419 H). Takhrj Aldilalat Alsameiah Ala Ma kan fi Aahd Rasul Allah Min Alharf Walsanayie Waleimalat Alshareiati. Birut: Dar Algharb.

Kamil, Abdul Aleaziz. (1970). Al'islam Waltafriqat Aleunsuriatu. Bahath Min 'Iisdar Munazamat Alyunisku fi Silsilat Almas'alat Aleunsuriat Walfikr Alhadith Bial'iinjliziat Walfaransiat.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Khalil, Rashad Hasn. (2001). Mafhum Almusawat fi Al'islam: Dirasat Muqarinata. Alryad: Dar Alrashid lilnashr.

Khalil. n.t Nazariat Almusawat fi Alshryet Al'iislamia.

Qutub, Sayd. (1974). Aleadalat Alaijtimaeiat fi Al'islam. Alqahrt: Dar Alshuruq.

Shafaa.net. Yemen Voice. Shahid bi As-Suwar: Hadza Huwa Al-Taqrir al Ladzi Kana Sababan fi Tahdid asma' al-Matlubin lil adalah al duwaliyah. http://sahafaa.net/show1631293.html (Accessed on: 1 April 2021)

Wafy. Ali Abdul Alwahid. (d.t.) Almusawat fi Al'iislam. Alqahirat: Nahdat Misr Lltaba'ht.

Zahir, 'Ihsan 'Ilahi. (1995). Alshiyeah Waltashiue. Lahuor: 'Idarat tarjamat.

www.manaraa.com

Copyright of Malaysia Journal Syariah & Law is the property of Universiti Sains Islam Malaysia (USIM) and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.

www.manaraa.com